موضوعات الثورة العربية

بقلم عزيز السيد جاسم

ان أغلب الشروح التي تناولت موضوع (الثورة العربية) بالدرس والتمحيص كانت تتأطر في بدايات ونهايات أكاديمية ، ولذلك ظل مفهوم الثورة العربية يخضع باستمرار لعمليات جذب متعددة ساهمت كلها في اعطاء صور مضللة وغير علمية . ولكن الصدمة التأريخية في (٥ حزيران) أباحت للكثير اعلان نمط جديد في التفكير يكتسي واقعية ثورية جريئة تتضمن حماية المفهوم الحقيقي للثورة .

والثورة العربية ، بحد ذاتها ، عملية تغيير هائلة تضع للمجتمع العربي مقاييس جديدة وأسلوبا حياتيا تقدميا . ولذلك فهي :

أولا ـ ثورة حضارية كبرى تدرك ان أية حضارة مستقبلية انما تتجاوز فترات الركود بتمرد واع وجماعي .

ثانيا ـ ليست بأي شكل من الاشكال انقلابا يتناول السطوح والاغلفة بل هي تفجير ضخم يخترق الواقع العربي من العمق حتى الوجه .

ثالثا ـ وهي اذن ، وبحكم الاستقراء العلمي لواقعنا العربي ، ضرورة تقتضيها طبيعة الاحتدامات في صلب مجتمعنا ، وجواب لكل التناقضات القائمة . ونظرا للمسافات الشاسعة بين طبيعة التملك الفردي الاستثماري المحتكر بشكليه الزراعي والصناعي وبين العلاقات الاجتماعية بين قوى الشغيلة وفصائل الكادحين (الفاعلين الحقيقيين والمأجورين) فان الثورة العربية حل لهذا التناقض دون أي مناص .

رابعا ـ والضرورة في قيام الثورة العربية هي شرعة تأريخية ثورية من حيث ان التأريخ يستكمل نفسه عن طريق الثورات البشرية التقدمية (الثورات قاطرة التأريخ) . ومثلما تحدث الانتفاضات الثورية الضرورية في مواقع أخرى من العالم ، فان العالم العربي تنسحب عليه هذه العملية التأريخية .

خامسا ـ ولذا فالثورة العربية تكشفت كواقع ثوري تحريكي وايديولوجي . ولكن هذا الواقع لا زال يحاول تلمس بداياته العلمية الحقيقية ويوطد بعد ذاك أساسه المكين حتى تتهيأ له سرا قدرة التحرك المزدوجة ، أي التلقائية والمصممة .

نظرة عامة

ان النظر الموضوعي للواقع العربي يكشف حقيقة التطور غير المتناسق للمجتمع العربي . فالمجتمع العربي يمثل (أسلوب الانتاج الاسيوي) مع تداخل المراحل الاجتماعية دون وجود حدود بارزة تسيج التكوينات القائمة (١) فاننا اذ نجد ان المجتمع الاميركي أو الانكليزي أو الفرنسي كطراز مكشوف من البناءات الرأسمالية التي تأسست منذ زمن بعيد وبانتظام تأريخي على أشلاء العهد الاقطاعي المنتهي زمنيا ، نرى ان المجتمع العربي لا زال يحمل بصورة واضحة تعددا في النظم الاقتصادية والاجتماعية . اذ ان هنالك المجاميع البدوية التي تمتزج فيها (المشاعية البدائية) و (الرق) . وهنالك مجتمعات (القنانة) والسيادة الاقطاعية . كما ان هنالك (الرأسمالية التجارية والصناعية المتطورة) .. الخ .

وكل هذه المجاميع هي الخلفية الحقيقية للوراثية التي لا زال يستغرق فيها المجتمع العربي . فحتى الآن لم تتم تصفية بينة في نماذج التشكيلات الاجتماعية والاقتصادية البدائية . ولذا فان سلسلة التطور الحضاري تبدو وكأنها متقطعة لانه لم تتوفر انتقالات حضارية بارزة ، بل ظلت قدما المجتمع العربي تراوحان في مراحل أولى في حين انه يتطلع الى مستقبل جديد بذهنية اليسار الغربي .

ومن المعلوم ان هنالك عينات للوضع المذكور حاليا . ومنها عينات اقتصادية تبدو جلية في عدة أشكال : الاشتراك في الممتلكات كما هو حاصل عند بعض القبائل البدوية بوضع مشاعي . والاسترقاق وعلائق (السادة والعبيد) في مجتمعات الحكم الرسمي المتطور عن الوضع البدوي . والعلائق الاقطاعية في المجتمعات التي تتحقق فيها الممارسة الفعلية للاستحواذ الاقطاعي . والانتاج الحرفي والبضاعي البسيط . والحركة التجارية ونشوء البرجوازية في عدة مواقع . وتضخم النشوء البرجوازي بصورة (كومبرادور) وظهور أوليات للاحتكار المنظم .. الخ.

ومنها عينات اجتماعية وتتبلور عبر التمايزات الطبقية ، اذ ان المجتمع العربي مجتمع متعدد الطبقات . وحجوم الطبقات ودرجات تطورها تختلف بين قطر وآخر ، فهي في (السعودية) غيرها في (الجزائر) ، وهي في (حضرموت) و (البحرين) غيرها في (العربية المتحدة) .. الخ . واذ تلعب الطبقة الفلاحية دورا رئيسيا في قطر معين تلعب الطبقة البورجوازية دورها القيادي في قطر آخر. وكذا تتهيأ الطبقة العاملة في أمكنة عربية أخرى لتنفيذ مهامها التأريخية كمسؤولة قيادية رائدة . وبذلك فان خريطة الوضع الطبقي في الاقطار العربية تتطلب تبعية سياسية ووضعا سياسيا مختلفا ، اضافة الى ما يجره ذلك من تبدلات علائقية وتغيرات في العادات والتقاليد لا تتشابه كليا في جميع البقاع العربية . وهذا بارز جدا : فالعادات في (المكلا) تختلف عن العادات في (تونس) ، والتقاليد في (البادية) غيرها في (الريف) وغيرها في (المدينة) ، في حين ان (الريف) و (المدينة) في المجتمع العربي هما انقسام اجتماعي كبير بحيث يقال : (هذا مجتمع ريفي) و (ذا مجتمع مدني) . وذلك دليل على تخلف المجتمع العربي اجتماعيا وعدم اتساق مسيرته الاجتماعية وعدم ترتيب قواها الطبقية الاصلي .

ومنها عينات ثقافية حيث تنتشر (الامية) في مناطق عربية عديدة ، في حين يتحدث مثقف ما في (بغداد) او (بيروت) بمنطق غربي استكمل بواعثه التكنولوجية والعلمية . وحيث تصدر أوامر بتحريم (الفكر) و (حرية الرأي) في أقطار عربية معينة في حين يمارس المفكر اداء واجباته في أقطار أخرى حيث تمتزج في ذهنية البعض أو العديد من المتعلمين والمثقفين (الايديولوجية التقدمية + الروح العشائرية والغيبية) . وحيث تتلاحم الملاكات (المثالية) و (المادية) دونما تشخيص منهجي محدد . وحيث يجري تفتيت (الثقافة) وتجزيئها غير المبالي حتى تتسارع الالتباسات في توضيح ما هو ثوري وما هو غير ثوري .

وهنالك عينات سياسية تتعين في وجود أحزاب ومنظمات متعددة.

(١) الاسلوب الاسيوي في الانتاج مفهوم طرحه (كارل ماركس) في مسودة بحث في عام ١٨٥٧ ـ ١٨٥٨ عن أساليب الانتاج فيما قبل الرأسمالية . وهو في هذا المفهوم يقدم تفسيرا لسقوط الامبراطورية الرومانية وعن تطور المجتمع الصيني وحول أختلاف ذلك عن تطور مجتمعات البحر المتوسط الغربية .. الخ . وقد أدان مؤتمر (لينينفراد المنعقد في عام ١٩٣١ الاسلوب الاسيوي وذلك لانه يعني تهديم (المراحل) الخمس في تطور المجتمعات البشرية مما يؤدي الى تخلخل في الوعي العقائدي ... الخ . (الاقتباس من موضوع للمفكر (مكسيم رودنسون) بهذا الخصوص نشرته مجلة (الهلال) عام ١٩٦٦ ـ يوليه .

فهنالك القوى الرجعية والمحافظة واليمينية ، وهنالك القوى التقدمية واليسارية . وهذه القوى بمجموعها تعيش اختلافاتها الستراتيجية والتكتيكية وتعاني أزمات متباينة . ولما كانت القوى الرجعية تعبيرا عن أزمة القوى المتنفذة كقوى منهارة ، فان القوى التقدمية التي تعكس شروط التطور العربي وتنضجها عمليا ، خضعت لتأثيرات عديدة تعاونت على نحو أو آخر على تذبيل الكثير من التوهجات الثورية .

ان هذه العينات كلها تقرر الحقيقة التالية : ان المجتمع العربي يعيش في أقل ما يستوجب بكثير ، أي انه لم يحتل حلقته ومساحته الحضارية المعاصرة . وبين هذا التخلف وبين اللهاث وراء سرعة العصر تبرز أفكار عديدة وتموت أخرى .

ومعنى ذلك ان المجتمع العربي يحيا بشكل مكشوف تناقضين : التناقض الاول يعتمل بحرارة في أحشائه ـ بين ما هو بدائي وما هو معاصر ، بين ما هو تقليدي وما هو محدث ، بين ما هو هرم جدا وبين ما هو وليد جدا . أما التناقض الثاني فبينه ككل وبين القرن العشرين ، أي بين أمة مجزأة وبين عالم تتماسك ثوراته وانتفاضاته العلمية والاجتماعية والايديولوجية . والثورة العربية هي الضرورة المسؤولة عن حل هذين التناقضين .

وكيف تحل الثورة هذين التناقضين ؟

الحق ان الامكانية بحل التناقض الخارجي لا تتهيأ الا بعد التوصل الى حلول واقعية للتناقض الداخلي . وحلول التناقض الداخلي تعتمد على أساسيات بالغة الاهمية وحاسمة هي :

أولا ـ أن الحلول ينبغي أن لا تكون قطرية فحسب أي انها حلول على مستوى قومي . وعندما تتأكد نقطة الحلول على مستوى قومي يجب أن لا يغيب عن البال أمران : الاول هو عدم اغفال الجوانب القطرية تعمدا تحت شعار المبالغة في دحر الاقليمية ، بل تولى القضايا القطرية حيويتها الخاصة ضمن الاطار القومي . والثاني هو عدم الاستغراق في التفصيلات القطرية والوقوف عندها فقط بحيث تمسح صورة الامة نهائيا فذلك جفاء عن العلم والحقيقة التاريخية . ومن ثم فهو أمر غير عملي اطلاقا .

وعلى هذا الاساس يدخل شعار (الوحدة العربية) لا كشعار خيار بل كحتمية تأريخية تواجه الانفكاك .

ثانيا ـ ان الحلول الاقتصادية للواقع العربي المجزأ والمتعدد السمات لا يمكن أن تتوافر الا عن طريق واحد هو طريق تجاوز كل المراحل السابقة للاشتراكية (من رق الى اقطاع الى رأسمالية) . وهذا التجاوز حاصل تأريخيا عاشته أغلب شعوب العالم وتعيشه باصرار . لانه كفيل بالغاء كل العبوديات المتعددة الاشكال . ولما كانت جميع الاقطار العربية تنسحق تحت وطأة استعباد اقتصادي داخلي ، فمن الضرورة اطلاق حرية الانسان العربي اقتصاديا ليمارس مسؤولية مباشرة ازاء واقعه . والاشتراكية العلمية ، لكونها مرشدا نظريا في العمل والتغير ، تستطيع أن تتكفل باحداث التحولات المنشودة . ولكن يتبادر السؤال التالي : هل ان الانتقال الى الاشتراكية يتم حرفيا هكذا وفي أي قطر عربي ؟ الواقع ان هذا السؤال لا يمكن الاجابة عليه بواسطة تحمس ايديولوجي أو فورة (اشتراكية) لان العالم لم يشهد ولن يشهد انتقالا مباشرا من الاقطاع أو الرق الى الاشتراكية .

ولهذا فان لكل قطر عربي أن يستن طريقه العملي للانتقال الى الاشتراكية دون افتراضات مذهبية أو تجريبية . وهذا التعدد في طرق الانتقال الى الاشتراكية يتكافل بين قطر عربي وآخر بشكل متلازم ومتلاحم ، بحيث ان أي (اشتراكية في قطر عربي) لا تكون اشتراكية حقا ما لم تساهم عمليا في انضاج الشروط الاشتراكية في القطر الآخر .

ثالثا ـ ان هذه الحلول الداخلية لا تتوفق الا بعد الازالة الكاملة للعبوديات المفروضة من الخارج . أي بعد سلخ كل السيطرات الامبريالية أو الكولونيالية عن الجسد العربي حتى تتواجد للانسان العربي ظروفه التي يمتلك فيها حرية التصرف والارادة والاختيار لتنشئة غده .

رابعا ـ تظل كل هاتيك المسائل التقدمية معرضة لاختناقات وتوقفات عسيرة شائكة ما لم تبادر الى خلق مناخ الفسل الديمقراطي . فالديمقراطية عندما تظهر كأسلوب وعلاقة بين القوى التقدمية المختلفة فمعنى ذلك انفراس نبتات المستقبل الحقيقية المرادة .

والاختلاف بين القوى التقدمية ولبناتها التي تشكل أساسها الطبقي ، وكذا اختلافها ايديولوجيا أو تكتيكيا هو طبيعي تماما ، لانه يعكس التعدد في المراتب الطبقية . فاضافة الى التقسيمات الطبقية العامة تخرج بين حين وآخر مراتب وأشكال طبقية داخل الطبقة الواحدة نفسها . وحيث ان المسؤولية الثورية عن الواقع العربي لا تستلزم بحزب واحد أو بقوة واحدة فان التعايش الديمقراطي الجبهوي بين القوى التقدمية في داخل القطر العربي الواحد أو بين قطر وآخر هو الطريق المأمون الذي يضمن للثورة العربية اجتيازا مفتوحا شديد الفعالية .

وبعد أن يتم انجاز رئيسي لمواصفات المجتمع العربي الافضل نستطيع ـ كأمة عربية ـ أن نتحدث عن مقولة « توينبي » في (التحدي الحضاري) . وهذه المقولة اعتنقها بعض السياسيين القوميين العرب على أساس انها تنتظر دفعا تأريخيا للامة العربية . والواقع ان مسألة (التحدي الحضاري) لا نستطيع أن ندخل فيها كطرف يتكافأ مع الخارج . أي اننا ومن خلال عملية التحدي لا نستطيع أن نصمد بأسلحتنا السابقة . ولذا فمن المحتمل ان (التحدي الحضاري) بالنسبة لنا انما يستعمل كاثارة لعاطفة كبيرة يمكن اكتسابها وقتيا للحصول على انضمامات تأييدية واسعة . ولكن عندما تنتهي العاطفة وتسقط البراقع يتضح مدى الواقع المهلهل الذي تفرضه علينا الزعامات التقليدية .

وعندما نتساءل : متى يحق لنا أن نكون طرفا في التحدي الحضاري ، طرفا حقيقيا متكافئا مضمون الانتصار ؟ فالجواب في ان ذلك لن يكون الا عند ميلاد المجتمع العربي التقدمي الحقيقي . ففي هذا الميلاد نتحدى كل عالم البطش والعبودية والاستغلال ، فنحن نعرف ان (روسيا القيصرية) لم تدخل التحدي الحضاري بشكل ساطع ولكنها دخلته وبكامل استعداداتها الحضارية بعد ثورة أكتوبر . وكذلك مجتمعنا العربي لا يدخل التحدي كند وطرف مساو باقطاعييه ورجعييه وجلاوزة السياسات الرجعية والانتهازية والعميلة فيه . انه يستعد للدخول ويدخل فعلا عندما تومض في العيون العربية شعاعات شمس الحرية والاشتراكية . وحينذاك تحل المعادلة وكل المعادلات من صالحنا وصالح البشرية .

والمعادلة الاولى التي تستوجب الكلام هي اننا في الامس وفي اليوم تفرض علينا التحديات ، وكل أجوبتنا ازاءها خافتة أو محدودة أو وقتية . لكننا في الغد نريد أن نمسك المقود فتفرض أمتنا وجماهيرنا التحديات ضد أعداء البشرية . وهذا الانتقال هو الذي يخول لنا التحدث عن صفة التحدي الحضاري لا عنه بشكله الاطلاقي . ان ثلاثة أرباع الجماهير العربية اليوم لا تساهم في وضع تأريخها ، ولذا فهي تجهل أصلا كل التحديات . لقد تربت هذه الجماهير وتحت ظل مخدرات عديدة تربية غير مسؤولة عصريا وعالميا . أي انها توقفت ضمن رقعة متطلباتها اليومية . أما الآن فان علينا أن نرفض ذلك . فالتحدي الحضاري ليس لغة المثقفين أو السياسيين بل يجب أن يتحول الى لغة تتحدث بها كل الجماهير العربية . والجماهير لا تتحدث الا بعد أن تتثقف ، ولا تتثقف الا بعد أن تقاوم الجوع ، الا بعد أن تتحرر في الداخل . وبعد ذلك يكون جوابها شخصيا .

واقع الثورة العربية في تنفيذ مهامها :

ان الحركات الثورية الكبرى التي أودت بالحكم الملكي والنظم الرجعية والعميلة في مصر والعراق وسوريا والجزائر واليمن أكدت

ـ التتمة على الصفحة ٦٢ ـ

موضوعات حول الثـــورة العربية

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١٠ ـ

بزوغ فجر ثوري جديد على الامة العربية . والرابطة التي تشد ثـورة في قطر معين بالثورة في القطر العربي الآخر توضح بما لا يدع مجالا للجدال أن الثورة العربيـــة كل مترابط يرسم أبعاده الثورية فـــي مرتكزات انتفاضية حتى يعم التيار الثوري الاشتراكي العربي جميـع المساحات الجغرافية المجزأة تحت التسمية القومية العربية .

ولكن هذه الثورة التي تتحمل مسؤولية خلق الوطن العربي الحر والانسان العربي المتحرر تعرضت للنقد ، وهذا شيء ايجابي جـــدا بالنسبة للثورات . لانه بالنقد تتقـــوم الحركات الثورية وتتصلب . ومبررات النقد عديدة . فهنالك المد الرجعي والطائفي والعشائري على نطاق أقطار عربية عديدة رسميا أو شعبيا . وهنالك الجيوب الاستعمارية التي تتمثل بأشكال مختلفة من الصلات . فالتحركات الاستعمارية فـي شبه الجزيرة العربية لا تـزال تعكس مظاهر (الاستعمار القديـــم) وماجريات الاحداث في بعض الاقطار العربية لا تزال تشير الى أكثر من اصبع استعماري يدير سياسة (البلد) ! . كما ان هنالك المـد الصهيوني الذي ابتدأ كاستعمار استيطاني محكوم عليه مسبقا بالفشل ولكنه وعكس التوقعات استطاع أن يلحق بالارض المحتلة أراضي أخرى جديدة . ان ذلك كله يؤكد أن أسهم الثورة المضادة لا تزال رائجـــة وذات قدرة (عصرية) على العمل .

ومن الطبيعي اننا عندما نتحدث عـــن الثورة العربية لا نعني بذلك كثيرا من أخطاء الحركات الثورية ، وهي بذلك تحول هذه الاخطاء الـى نقاط قوة بالنسبة لها . ولذا فان سمة الوضع السياسي في الربـع الثالث من القرن العشرين ان تراجعات وانحرافات بعض القوى الثورية في العالم ، أعطت الفرص للامبرياليين وزمرهم لحقن أنفسهم بمصـــل الفتوة ، وبذا أنجزوا بعض المكتسبات واستطاعوا فرض خســـارات مؤقتة على معسكر الثورة . ولذا فـالسؤال الآن هو : ما الخطأ الـذي جعل الثورة العربية غير مـــوفقة ـ نوعا ما ـ في تحقيق مهـــامها المبـــاشرة ؟

ومن الطبيعي اننا عندما نتحدث عن الثورة العربية لا نعني بذلك الحركات العفوية للجماهير العربية بل ان النقد يتطلب الجواب مـن خلال التركيب الايديولوجي والطبقي للقوى السياسية التقدمية فـي الاقطار العربية . وهـــذا التركيب ـ اجمالا ـ يؤكد انتساب أغلب التيارات التقدمية الى معسكر البرجوازية الصغيرة ، سواء أكان هذا الانتساب ايديولوجيا أو طبقيا . وان المرحـلة التي ينشط فيها دور البرجوازية الصغيرة هي المرحلة الانتقالية (شبـه الاقطاعية ـ شبـه البورجوازية) وتكون هذه القوى البورجوازية الصغيرة ثورية بحكـم تمردها على العبوديات الاقطاعية وبحكم تطلعاتها التجديدية . ولـذلك توفر ما يلي من مضاعفات :

أولا ـ اختفت (النظرية الثورية المتمكنة على الممارسة الثوريـة الفعالة ، وحل محلها الفكر البورجوازي الصغير الذي ينزع الـى (اليمينية) تارة والـى (المغامرة «اليسارية») تارة أخرى ، ويتردد بين الاصلاحية والراديكالية والنقابيـــة ، وينأى عن الرؤية الثوريـة الصحيحة .

ثانيا ـ غياب الدور الفعلي للجماهير العربية الكادحة . فالطبقة العاملة لم توآتها فرصة احتلال مكانتها الجديرة بها ، والطبقة الفلاحية ظلت شبه مجمدة وشبه معزولة عـــن تأريخها . ولذلك دخلت ميدان القيادة قوى أخرى قد تنتسب الى الكادحين أحيانا وأحيانا أخـــرى يظل ذلك الانتساب شكليا . وأغرقت التنظيمات السياسية بعنـاصر البورجوازية الصغيرة وتناقضاتها الحادة .

ثالثا ـ فرضت البورجوازية الصغيرة أخلاقيتها الازدواجية التي تجمع الشتيتين : الدفاع عن قيم تقدمية اشتراكية من جهة وبوسائـل بورجوازية من جهة أخرى . وبذا نمت في الجو العربي نوعيات غريبة من عقليات المناورة والديماغوجية والوصولية والتوفيقية و (الشانتاج السياسي) . وكثرت وسائل البطش والتنكيل وانتشر الاغتيال وتحولت الديمقراطية في العمل السياسي الى نزعـــة ارهابية . وحدثت مثل هذه الحساسيات والاختلافات بين قطر عربي متحرر وآخر . وبـــذلك توفر للعدو الصهيوني والامبريالي وسط صالح للتخريب والتآمر بغية الاطاحة بالانظمة التقدمية الحاكمة . اذ ان تمزق الجبهات التقدميـــة في داخل الاقطار العربية وكذلك انعكاس ذلك على الجبهة التقدميـــة العربية المفترضة هو تهيئـــة ثمينة يطمح لها أعداء الشعب العربـي لامرار مؤامراتهم وتسهيل الطريق أمام الخصوم الخارجيين لامة العرب وحضارة العرب .

ضياع البرجوازية الصغيرة بين الستراتيجية والتاكتيك :

ان البورجوازية الصغيرة لا تمتلك أفقها الستراتيجي وذلك بحكم كونها ذات وجود ذاتي محدود . فوقتية البورجوازية الصغيرة متأتيـة من كونها البداية الاولية للنشوء البورجوازي ، وهي على هذا الاساس ليست طبقة ثانية محددة بل هي مرتبة من المراتب الطبقية تنحصر بين بنيتها الاجتماعية المضغوطة وبين ايماناتها المختلفة . ولذلك فهـــي لا تستطيع أن تحدد ستراتيجية ثورية مشهـــودة ، لان الستراتيجية كخط رئيسي يحيط بالمرحلة ويستقطب كل شعاراتها لا يمكن توفرهـا عند فئة طبقية قلقة من حيث ان القلق وجوديا لا يمتلك المكنة عـــلى تحديد رواسخ شديدة الضرورة والوجوب . أما من ناحية (التكتيك) فان البورجوازية الصغيرة تبرع في هذه المسألة . فهي بحكم دهائها اليومي وقوة حاسة الشم لـــديها ووعيها بمصلحتها تضع تكتيكـات جيدة . ولكن نجاح هـــذه التكتيكات اذا تحقق نجاح طارىء ، لان التكتيكات الجيدة تتعرض الى التفليش الحتمي اذا لم ترتبط بستراتيجية مشرقة . ومن هنا تبـــدو مهارة البورجوازية الصغيرة في المناورات والالعاب السياسية . ولما كانت الثورة العربية ثورة ذات طاقة مستمرة وديمومة متفجرة ، فهي بحاجـــة الى تعيين شعاراتها الستراتيجية الكبرى . وهذه الشعارات الستراتيجية تتعلق بالمراحـل التي تعيش المسائل الاستراتيجية بالنسبة لها في تعتيم واضطراب . ولقد كـان واقعا ان البورجوازية الصغيرة تقود الى سلسلة من الاعمال الانهزامية، وهي اذ تتحدث كأي (يساري) مفرم لا يهمها أن تركب أشد الاعمـال يمينية . فعلى نطاق القوى التقدمية كان مفعول البورجوازية الصغيرة واضحا جدا ، فحيث أن من الواجب التوصل الى لقاءات مثمرة بين هذه القوى ـ على اعتبار انها مشتركة في تخطيطاتها الستراتيجية ولوجود عدو خطير على الابواب (الصهيونية) ـ نجد انها ظلت تلوك الخلافات القديمة أو تفعل ما فعلته (بنلوب) لطرد عشاقها ، تنسج نهارا وتحـل النسيج ليلا ، ويولسيس لا زال في الغيب ! وبديهي أن ذلك السـلوك مشتق من ترسانة الاخلاقية البورجوازية الصغيرة التي تعتبر كـــل تصرفاتها وسلوكيتهـــا ولقاءاتها مجرد تكتيكـــات . وحيث تجهض الستراتيجية بتحويلها الى تكتيك فانه يصعب الاتفـاق عـــلى أبسط المســـائل .

ان البورجوازية نفسها قـــوة ثورية ـ من موظفين الى عسكريين ثوريين الى حرفيين وكسبة صغار .. الخ ـ ولكنها لا تستطيع قيـادة الجماهير . بل انها فقط تتمكن من تأدية واجباتها الثورية في العمـل تحت قيادة الطبقة العاملة وحليفها المباشر والامين ، الفلاحين . وهـي اذ تنضوي تحت لواء العمل الثوري ، انما تتربى وتستطيع أن تقـذف بجذورها وبقايا تأثير قوة الاعتيادات القديمة الى البحر . وبـــذلك تتحرك مسيرة الثورة العربية بثقة لانها اذ تتحسن قواها الاصيلة كما وكيفا وتستقطب حولها جماهيرها الحقيقية بقيادة الطلائع الكفاحيـــة الصامدة لا تجد صعوبة في تعيين أفقها الستراتيجي وأقواس عملهـــا

أفقيا وعموديا . ويكون أي انجاز لها في أية رقعة عربية هو جزء من سلسلة الاعمال المضادة للصهيونية والامبريالية . فمهمة الثورة العربية اليوم ليست آذن في رفض البورجوازية الصغيرة كمجموعة ثورية مهمة بل في ازاحتها فقط عن القيادة لتتحول الى حليف ثوري . ومتى أنجزت تلك المهمة فان أمورا وتغيرات كثيرة يترتب على كل التنظيمات العربية التقدمية الاخلاد لها .

الفدائيون طليعة من طلائع الثورة العربية :

ان انبثاق الحركة الفدائية في الارض المحتلة أكد قدرة الجماهير العربية على تحرير أرضها أو أكد ان الانسان العربي قادر على تخطيط وسائله الثورية لمجابهة أعدائه الحقيقيين . وهذا الانبثاق يعكس تحولات هامة في الكيفية النضالية للجماهير العربية . لقد كانت النظرة العربية التقليدية ـ السائدة ـ تعتمد على فكرة الجيوش النظامية التي تقوم بعملية التحرير كفكرة وحيدة رسميا . وبما ان تحركات الجيوش العربية مرهونة بأوامر واشارات الحكومات العربية المتباينة فقد ظهر للوجود رسميا ان الشعب العربي في فلسطين والارض المحتلة في (٥ حزيران) لا يمكن أن يمارس دوره الحقيقي ، علما بأن هذه الممارسة طبيعية وقديمة ، ولكنها لم تعن بذلك الشكل الذي يكفل لها النمو والتطور من قبل بعض الحكومات العربية . وبمعنى آخر تأكد ان آي انتظار لموقف بعض الحكومات العربية انما يجعل من هذه القضية الخطيرة قضية مؤجلة . ولذلك فقد انبثقت الممارسة الثورية بشكل جلي رائع يتعدى حدوده وأبعاده القومية الى الدرجة العالمية . وكما ان الحركات الثورية في العالم تبلورت في طرز مختلفة من نوعيات النضال وقدمت حركات مشرفة في المقاومة كحركات (الجويريللا) وفرق (البارتيزان) ، أو الانصار ، وفرق (الماكي) ، وفرق (الكوماندو) وحركات التحرير العديدة ، فان الثورة العربية قدمت هذا النموذج المدهش من المقاومة . وبتقديمها هذا النموذج أرهصت لتغير جديد وايجابي في تسلك الثورة العربية . اذ أن العمال والفلاحين والجنود وكل الفصائل الثورية المخلصة دخلت خطوط النار ووضعت البرجوازية الصغيرة على المحك . فأمام حقيقة المعركة تتنفي وتتهاوى كل أشكال التردد والذعر . وهذا الطابع المسلح العنيف الذي تقوم به قطاعات شعبية ثورية صلبة والذي يعزز نفسه بالنظرية الثورية والتجارب الثورية الكبرى في العالم هو أغناء للثورة العربية ودفع لها لانه يتناول النضال الامامي ضد أعتى عدو للشعب العربي ـ الصهيونية ـ وهو بتكافله وتلاحمه مع نضالات الجماهير العربية في أقطارها يحقق انجازات ثورية تعجل في استيلاد المجتمع العربي التقدمي الاشتراكي .

وقد اتخذت الجماهير منذ البدء موقفا حازما في دعم العمل الفدائي وتغذيته باستمرار ، وأدانت بجرأة كل المواقف السلبية أو التشكيكية بالقدرة الثورية عند الفدائيين العرب . فالحركة الفدائية اذن في الارض المحتلة هي عينة جيدة من عينات الثورة العربية الكبرى . وقد نضجت خلالها كل المبادىء الثورية في التحرر والوحدة والاشتراكية والديمقراطية وتجاوزت كل التناقضات الحاصلة بين القوى التقدمية العربية وأعلنت ان الثورة لن تكون بأوامر واجراءات رسمية يقوم بها موظفون أو مكتبيون أو متحدثون لبقون أو أحزاب برلمانية ليبرالية أو مخدرة بنشوة الكسب الذاتي بل هي ثورة الشعب حيث تحمل فصائله الطليعية السلاح وتقاتل بعزم من أجل حريتها وشرف عيشها .

وان العالم لا بد أن يشهد الثورة العربية كحقيقة قائمة تغني النضال العالمي من أجل الحرية . ومهام هذه الثورة تتوزع على جبهتين : ففي الداخل يجري تطهير جدي للواقع العربي من كل الفئات المأجورة والمعادية لمطامح الشعب المشروعة . وفي الخارج تتمثل في دحر الامبرياليين ودعم كل الحركات الوطنية والتحررية في العالم . وعبر هذه الملحمة تتفتح أعين العالم على الثورة العربية كارتياد لمواطن حضارة عربية تقدمية جديدة .

العراق — عزيز السيد جاسم

مذكرات مالكولم X

زعيم الزنوج المسلمين في اميركا

في نيسان ١٩٦٥ ، اغتيل مالكولم x زعيم الزنوج المسلمين في اميركا . وقد كان وسيبقى واحدا من اشجع زعماء الحركة الزنجية في اميركا واكثرهم اصالة وابعدهم شهرة . وقبل ان يقتل بعدة اشهر (وكان يتوقع ذلك) املى على الصحفي ((الكس هالاي)) سيرته الذاتية التي هي اعجب سيرة لزعيم !

ذلك ان مالكولم x لا يخفي في سيرته شيئا من اسرار حياته ، بل يتحدث بكل صدق عن شبابه في الكوخ الذي كان يعيش فيه في حي ((هارلم)) حيث كان يتعاطى المخدرات والخمر ويمارس السرقة والسلب ويعيش عيشة الانحلال . وفي السجن الذي قادته اليه اعماله اللصوصية ، اكتشف فجاة السقوط الذي يعيش فيه ويعيش فيه كذلك كل افراد شعبه الزنوج . وهناك اعتنق الاسلام وانضم الى ((امة الاسلام)) ليكرس حياته كلها فيما بعد لمقاومة ((الشيطان الابيض)) المسؤول عن سقوط الزنوج في اميركا .

ويتحدث مالكولم x في مذكراته الرائعة عن حياة السود ومشاكلهم والتمييز العنصري الذي يمارسه عليهم البيض من الاميركيين ، وعن تمردهم وثورتهم التي نشاهد اليوم بعض مظاهرها في عدد من مدن اميركا الكبرى ، ويحلل في نفاذ وعمق الظروف السياسية والنفسية التي يعيش فيها الزنوج الاميركيون ، وعن ايمانه بالاسلام كدين يحارب التمييز ويدعو الى الاخوة الحقيقية بين الشعوب والامم .

وقد وصف روبرت كندي هذا الزعيم بانه الوحيد بين زعماء الزنوج الاميركيين الذي يملك ((مغنطيسية)) عجيبة !

مذكرات رائعة مؤثرة عن حياة مضطربة عجيبة لرجل عبقري يعتبر شاهدا على فترة خطيرة من تاريخ الزنوج الاميركيين الذين يكافحون من اجل تحريرهم ، ويقفون بصلابة في وجه سياسة اميركا المخادعة .

صدر حديثا ـ الثمن ٥٥٠ ق.ل